فتح المليك المقتدر

في

تفسير كلام ذي الجلال والإكرام

تأليف

أبي زكريا أحمد بن أبي بكر آل مصطفى

الرِّغَاسِي

الـــجـــزء الأول

جميع حقوق الطبع محفوظة

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل أحسن تنزيله على خير العباد محمد نبي الهدى هداية لجميع الثقلين، وفرقانا بين الحق والباطل يهتدى به إلى صراط مستقيم صراط الله الذي يوفق من اصطفاه من عباده للسلوك عليه ليوصله إلى دار كرامته التي هي أحسن السعادة، والنظر إلى وجهه الأكرم الذي هو أبلغ التكريم، وجعله شفاء لما في الصدور من الضلالة والهوى، وأول مصدر ودستورا للمسلمين الذي يسيرون عليه حتى يوصلهم إلى دار الفلاح، أحمده تعالى غاية الحمد ما لا يحيط به وصف وبيان، وأشكره سبحانه منتهى الشكر ما تعجز الأمدة والبحار عن بيانه، وأشهد أن لا إله إلا هو جل ثناؤه وتعالى ذكره الكبير المتعالى، وأشهد أن نبينا محمدا صاحب الفرقان عبده ورسوله وصفيه في خلقه، وأمينه على وحيه، صلوات الله وسلامه الدائمان الواسعان عليه، وعلى آله وصحبه خدم كتاب الرحمن قراءة وحفظا، تدبيرا وعملا، وكل من تمسك بهديهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فإن الله تعالى أنزل كتابه القيم الكريم على أفضل عباده محمد الرسول ﷺ ليهدي به الناس إلى صراطه المستقيم، وجعله مهيمنا على سائر الكتب السماوية المنزلة الماضية وناسخا لجميعها، ودستورا وحيدا فريدا فائقا صالحا لكل زمان ومكان، لا يخيب من تمسك بهديه ولا يحيد من استنار بنوره عن الجادة، فيه شفاء لجميع العلل الظاهرة والباطنة، يعز من تمسك به ويذل من استغنى عنه بغيره.

ولخطر شأن القرآن الذي لا يحيط به بيان تكفل الله جل شأنه بحفظه وحمايته من التحريف والتبديل والتغيير، فكان محفوظا متلوا كما أنزله الله تعالى منذ بداية التنزيل

إلى اليوم، ولم يزل كذلك حتى قيام الساعة، خلافا لغيره من سائر المنزلات، فإنها محل تغيير وتبديل حيث لم يبق في أيد الناس اليوم إلا التراجم، وذلك من فضل الله تعالى على نبيه ﷺ خاصة، وعلى أمته عامة.

وقد بذل المسلمون أقصى جهدهم في خدمة هذا القرآن الجليل منذ بداية تنزيله إلى يومنا هذا، فإنه ليس هناك كتاب أقبل الناس عليه بالخدمة وبذل عنايتهم في قراءته، وحفظه، وبيان ما فيه من الأحكام والعبر كهذا التنزيل المبارك، ولا يستطيع المرء إحصاء من قرأ القرآن وحفظه مهما بلغ من النبوغ في الإحصاء كما لا يستطيع إحصاء من فسره وقام ببيانه، وهذا من الدلائل الظاهرة على عظم شأنه عند الله تعالى.

ومن أكثر ما بذله العلماء من الخدمة للقرآن العظيم تفسيره بتبيان ما تضمنه من الكنوز الغيبية، وكشف أسراره المكنونة الربانية، وإبراز زبارج أحكامه العادلة المحكمة، ودرر فوائده النفيسة، فإنه لا يوجد كتاب من الكتب المدونة نال ما ناله القرآن الكريم من العناية في بيانه وتفسيره منذ بداية التاريخ إلى اليوم، وقد كثرت تصانيف العلماء سلفهم وخلفهم في تفسيره حيث لا يستطيع مُحصٍ إحصاءها، وأول من قام بتفسيره هو الله الذي أنزله نفسه حيث يفسر بعض الآيات ببعضها، كتفسيره: « الطَّارِقِ » بقوله: « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » الطارق: (1-3)

ثم خليله وحبيب قلوبنا محمد ﷺ حيث يفسره بأطيب كلامه الصافي المملوء بلاغة وفصاحة، ثم أصحابه الذين معه، ثم التابعين، ثم من بعدهم فمن بعدهم وهلم جرا.

وتفسير الله تعالى مقدم على غيره، إذ أن الله أعلم الناس بمراده، ثم تفسير النبي ﷺ، لكونه أعرف الناس بمراد الله، ثم أقوال الصحابة، لكونهم تلاميذ رسول الله ﷺ

يلازمونه ويأخذون منه القرآن حينما ينزل عليه ﷺ غضا طريا، ثم التابعين، لكونهم أخذوا من أصحاب النبي ﷺ، فهم تلاميذ تلاميذه ﷺ.

لا شك أن القرآن الكريم قد كان خليقا بهذه العناية العظيمة الفائقة، لكونه جاء من عند الله تعالى رب جميع الخلق وإلههم، فهو كلامه جل ثناؤه أنزله على أفضل رسله وخليله محمد بن عبد الله ﷺ ليخرج به الناس من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور العلم والهداية، فدين على الأمة القيام بخدمة مثل هذا الكتاب المبارك كي يفوزوا ويفلحوا يوم الدين.

ولما سقته لك من البيان حول هذا الكتاب العزيز الذي خصنا الله تعالى به، وجعل عزنا وفلاحنا في الأولى والآخرة في التمسك به، رأيت أنه من المطلوب الجيد أن أسهم في خدمة هذا الكتاب الكريم المبارك بتدوين الكتاب في تفسيره كي أنال ما يناله خدمه من الدرجات الرفيعة والفوز الثمين يوم القيامة، وإن كان هناك الكتب المدونة التي يعسر إحصاؤه في هذا المجال، لا شك أن علماء السلف قد وفوا هذا الموضوع حقه، وأحاطوا بكل ما تمس الحاجة إليه فيه من الأحكام الاعتقادية وأحكام العبادة والمعاملات، وغيرها من المسائل الدينية بيانا وتحليلا، غير أن الله الكريم المنان قد أبقى شيئا من فيوضات معارفه الربانية وأسراره القدسية لبعض عباده المخلصين في هذا الزمان حيث تفيض من سحبه الغيبية على قلوبهم وتنكشف من سجوف كنوز علومه المكنونة لهم، فيغوصوا في بحارف معاني كلامه الأطيب ويستخرجوا منه زبارج الفوائد، ودرر المعارف الصمدية، إذ أن عجائب هذا الكتاب لا تنقضي ولا تفنى، وكذلك معارفه المسجوفة في كنوزه الغيبية، فلا يستطيع عارف وصول قعرها والإحاطة بها مهما بلغ في العرفان حاشا الذي أنزل فيه القرآن محمد النبي ﷺ، ومصداق ذلك أنه لا يمر يوم من الأيام إلا ظهر جديد من كنوز معارفه المكنونة، ولا

يمر زمن من الأزمنة إلا احتاجت إليه نوازله ومستجداته للتحليل والتبيان، وهذا لا يتحقق إلا بوجود أمثال من سبق ذكرهم، فإذن الموضوع لا يستغني عن التصنيف الجديد الذي يتمشى مع الزمن، وهذا الذي سمعت كله هو الحافز إلى تصنيف هذا التفسير المبارك، وبالله التوفيق.

ثم إن هذا التفسير يجري على النمط الذي كنت أسلكه في تصنيف كتبي، أي التوسط بين الإيجاز المخل بالمعنى والإسهاب الممل، واستخدام العبارات الواضحة الخالية من التعقيد الذي يعسر منه الفهم، والركاكة التي تفسد المعنى، وهذا هو أحسن أساليب التصنيف وأجوده، حيث يستطيع كل من أهل العلم استفادة من الكتاب والإفادة به بقطع النظر عن مستوياتهم العلمية.

خطتي في هذا التفسير:

وخطتي في تفسيري هذا لكتاب الله الكريم المنان (القرآن العظيم) ما يلي:

1- تقديم مختصر حول القرآن الكريم قبل الشروع في التفسير، لأن معرفة حقيقة القرآن وما يتعلق به من العلوم يساعد الباحث فيه على فهم أسراره المكنونة فهما جيدا، فيسهل عليه استنباط درر فوائده المستورة من بحور معانيه.

2- إيراد الآيات أولا قبل التفسير على طريقة الرسم العثماني، وعلى ترتيب المصحف، ولا أقتصر على بعض الجملات من الآية عند الإيراد، بل، أوردها بكاملها وإن طالت، ثم يليها البيان، وتارة أورد أكثر من الآية الواحدة، وذلك بحسب ما تدعوا إليه الحاجة.

3- الكلام عن المسائل النحوية والصرفية والبلاغية مع شرح مفردات الكلمات وتوضيحها، وذلك بإيجاز حيث لا يخرج به الكتاب عن المقصود كصنيع بعض المفسرين.

4- ذكر سائر القراءات العشر المشهورة التي قرأت بها الآية وتوجيهها عند تفسير الآية إذا كانت الآية محلا لذلك، أي إذا كان فيها اختلاف في القراءة من القراء، وذلك بإيجاز أيضا.

5- ذكر أسباب النزول بالرجوع إلى ما ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة والكتب التي تعتني بذلك.

6- ذكر ما اشتملت عليه الآية من الأحكام والفوائد بالتوسط السابق الذكر، وذلك على الترتيب حيث أبدأ بالأهم فالمهم، وأذكر مذاهب العلماء في المسائل الخلافية ثم أرجح ما هو الراجح منها بالرجوع إلى القواعد والأصول العلمية.

7- لا أعتمد على كتاب واحد من كتب التفسير، بل، أتجول في بحور التصانيف الموروثة من سلفنا الصالح رحمة الله عليهم المصنفة في جميع ميادين العلوم الدينية من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، واللغة، والتاريخ والسير، وغيرها.

أسأل الله العظيم المنان الكريم أن يسبغ علينا من فيوضات فضائله الربانية، ومناهل عطاياه الرحمانية، ويأخذ بأيدينا إلى ما فيه السداد، ويعصمنا من الزلل والحيران، وأن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم وصدقة جارية ننتفع بغلتها يوم الدين، حسبنا الله مولنا، فنعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

أبو زكريا الرغاسي

تم التحرير يوم الأربعاء 14 ـ 8 ـ 1446هـ - الموافق 13 ـ 2 ـ 2025م.

مقدمة موجزة حول القرآن الحكيم

تشمل هذه المقدمة على بيان مختصر عن القرآن الكريم، من تعريفه لغة وشرعا، وبيان بعض العلوم التي تتعلق به ليستنير بها الباحث طريقه لاستخراج درر فوائده المخزونة في زواياه العلمية، وبالله التوفيق، وعليه التكلان.

معنى القرآن لغة: مصدر قرأ يقرأ، كرجح يرجح رجحانا، وهو مشتق من قولهم: قَرَيْتُ الْماءَ في الْمِقراة، أي جمعته، و(المقراة) بكسر الميم القصة التي يقدم فيها الطعام للضيفان، وسميت بذلك لكون الضيفان يجتمعون عليها، ولما جمع فيها من طعام، فدلالة اللفظ اللغوية ترجع إلى جمع الشيء وضم بعضه إلى بعض، ومن ذلك القرية، لكونها تجمع الناس فيها، وسمي القرآن بذلك أيضا لكونه يجمع الحروف والكلمات والآيات والسور فيضمها، ولما جمع من الأحكام العادلة والقصص التي يؤخذ منها العبر والاتعاذ، وغير ذلك.

ورجح الإمام الشافعي القول بأن لفظ (القرآن) اسم غير مشتق، غير أن الراجح ما ذكرنا لك من القول بالاشتقاق، وبه قال كثير من أكابر أهل العرفان باللغة.

ويأتي اللفظ أيضا بمعنى القراءة والتلاوة، ومن ذلك قوله تعالى: « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » القيامة: (17 – 18)

أي إنا تكفلنا بجمعه في صدرك وإثبات حفظه في قلبك، فإذا فرغنا من قراءته عليك بلسان عبدنا جبريل عليه السلام فاتبع قراءته وتلاوته، فالمراد بالقرآن هنا القراءة والتلاوة، وهو مصدر كما تقدم سمي به المقروء كلام الباري على طريقة تسمية المفعول بالمصدر، وهمزته أصلية خلافا لما ذهب إليه بعض العلماء، وبالله التوفيق.

معنى القرآن شرعا: وأما المراد بالقرآن شرعا فالذي تعورف عليه من تعريفه بين العلماء أنه كلام الله جل ثناؤه، المنزل على أفضل خلقه خليله محمد ﷺ، لفظا ومعنا بوسيلة جبريل عليه الصلاة والسلام، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

فلفظ (الكلام) جنس في التعريف حيث يدخل كل كلام، غير أن إضافته إلى الله تعالى يخرج جميع الكلام ما عدا كلامه سبحانه وتعالى، ووصفه بـ (المنزل) يخرج به كلامه تعالى الذي استأثر به عنده، فلا يسمى قرآنا اصطلاحا، وتقييد التنزيل بالنبي ﷺ يخرج ما أنزل على غيره من الأنبياء الذين سبقوه، (لفظا ومعنى) خرج بذلك الأحاديث القدسية، إذ أن لفظها من النبي ﷺ، (بوسيلة جبريل) قيد خرج به ما جاءه بوسيلة أخرى غير جبريل عليه الصلاة والسلام، (المتعبد بتلاوته) خرج به الآيات المنوسخة والأحاديث القدسية، لأنها لا تقرأ في الصلاة إجماعا، (المنقول بالتواتر) خرج بذلك القراءات الآحادية والشاذاة، فلا تصح القراءة بها مطلقا إلا على طريقة التنبيه عليها، لا على وجه العبادة.

ما ورد من أسماء القرآن وأوصافه:

وقد سمى الله تبارك وتعالى كتابه بأسماء كثيرة كما وصفه بأوصاف عديدة دالة على عظم شأنه، ومن هذه الأسماء:

1- القرآن: في قوله تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» الأعراف: (204) وهذا هو أشهر أسمائه، بل، هو اسمه العلمي الذي عرف به، وقد ورد ذكر هذا الاسم في مواضع كثيرة من القرآن.

2- الذكر: في قوله تعالى: « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » النحل: (44)

3- الفرقان: في قوله تعالى: « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » الفرقان: (1)

4- الكتاب: في قوله تعالى: « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » البقرة: (2)

5- التنزيل: في قوله تعالى: « وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الشعراء: (192)

وأما ما وصفه الله به من الأوصاف فمنها:

1- هدى: في قوله تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ » البقرة: (185)

2- نور: في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا » النساء: (174)

3- شفاء: في قوله تعالى: « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ » فصلت: (44)

4- مبارك: في قوله تعالى: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» الأنعام: (155)

5- كريم: في قوله تعالى: « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ » الواقعة: (77)

6- حكيم: في قوله تعالى: « وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ » يس: (1)

7- عظيم: في قوله تعالى: « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » الحجر: (87)

وذكر العلماء أن من حكمة تسميته بـ (القرآن) و(الكتاب) إشارة إلى تحقيق ما وعد الله تعالى من العناية بحفظه، وأنه محفوظ في الموضعين لا في موضع واحد، أي هو محفوظ في صدور الرجال وبطون الصحف أن تضل إحداهما فتذكر إحدهما الأخرى، فهو متلو بالألسن مدون في الصحف، وذلك كله من العناية الربانية التي تكفل الله بها نفسه حول كتابه المبارك الميمون خلافا لغيره من الكتب السماوية الماضية.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

وهناك فروق بيِّنةٌ بَينَ القرآن الكريم والحديث القدسي، وفيما يليك ذكر هذه الفروق على الترتيب:

1- أن القرآن الكريم عبارة عن كلام الله جل ثناؤه أنزله على عبده ورسول وخليله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه على بلفظه ومعناه بواسطة جبريل عليه السلام، وأما الحديث فالذي قطع به جماهير المحققين أن لفظه من النبي ﷺ حكاه عن الله، ومعناه من الله تبارك وتعالى، وهذا هو الراجح عندي، إذ لو كان هو من الله تعالى لفظا ومعنى كان أرفع سندا من القرآن، لكون النبي ﷺ يرويه عن ربه مباشرة خلافا للقرآن، فإنه يأتي بواسطة جبريل عليه السلام، ولوجب أيضا أن يلحق بالقرآن حكما لتماثلهما، وليس هناك فرق بين المتماثلين، ومن المجمع عليه أن الحديث القدسي لا يشرع تلاوته كالقرآن، ولا يترتب على من قرأه ما ترتب على من قرأ القرآن من الأجر والثواب، وبالله التوفيق

2- أن القرآن قد تحدى به الله العرب أن يأتوا بمثله ولو آية واحدة، فعجزوا عن ذلك مع ما وهبهم الله تعالى من الفصاحة البيانية، والجزالة البلاغية، وحلاوة المنطق، ودقة التعبير التي لا ينازعهم فيها أحد من العالمين، بل تحدى به الخلق جميعا إنسهم

وجنهم أن يجتمعوا ويتعاونوا على ذلك، لكنهم لم يستطيعوه، ولا يستطعون ذلك إلى قيام الساعة، لكون القرآن معجزة باهرة تالدة باهرة لرسول الله ﷺ إلى يوم الحساب، وأما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز.

3- أن القرآن كله منقول إلينا بالتواتر مجمع على صحة جميعه، خلافا للحديث القدسي، فمعظمه أخبار آحاد، يدور حكمه بين الصحة والحسن والضعف باعتبار طرقه، فمنه الصحيح، ومنه الحسن، ومنه الضعيف.

4- أن القرآن متعبد بتلاوته كتابا وسنة وإجماعا، يتحتم قراءة ما تيسر منه في الصلاة، وحض الشارع على الإكثار من تلاوته وتدبر معانيه ليل نهار، وذكر ما يترتب على ذلك من الثواب الجسيم، حيث يحصل القارئ على عشر حسنات بقراءة كل حرف منه خلافا للحدث القدسي، فمن المجمع عليه أنه ليس له ذلك، وبالله التوفيق.

حماية الله وعنايته بالقرآن:

قد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه القرآن الكريم في حالتين، حالة نزوله وبعد نزوله، ففي حالة نزوله حفظه الله تعالى من استراق الشياطين الذين يسترقون السمع، حيث جعل الله تعالى في السماء حراسة شديدة كما قال تعالى إخبارا عن مقالة الجن: « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » الجن: (8 - 9)

وأما بعد نزوله فقد حفظه الله تعالى جميع ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، فلا يأتي أحد فيه بتغيير من النقص أو الزيادة إلا كثر من يرد عليه من عامة المسلمين فضلا عن خاصتهم، وكذلك حفظ معانيه من التبديل والتحريف، فلا يأتي محرف بتحريف معنى من معانيه أو تبديلها إلا وقيض الله تعالى من يرد عليه ويبين الحق من

ذلك، خلافا لغيره من الكتب السماوية الماضية المنزلة على الأمم الغابرة، فإنها محل تغير وتحريف، وهذا من أعظم إعجاز القرآن وأعظم معجزة للنبي ﷺ، وأفضل منة على المسلمين، ويكفي في الدلالة على ما ذكرنا لك قوله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » الحجر: (9)

بيد أنه هناك زنادقة ملحدون من الروافض يقولون بتغيير القرآن وتبديله، وأن الذي يتداول بين الناس اليوم ليس كما أنزله الله تعالى، وفيه صنف بعضهم الكتاب المسمى بـ (فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب) وهو الميرزا حسن النوري أحد أكابر علماء الشيعة الجعفرية الاثني عشرية، واستدل بأحاديث موضوعة مختلقة مصنوعة منسوبة إلى جعفر محمد الباقري، وهذا ليس بعجيب منهم، إذ الكذب والجرأة على الله تعالى ورسوله ﷺ بإنكار ما جاء عنهما من أعظم أركان دين الشيعة التي بني عليها، نعوذ بالله من الضلالات وأعمال أهل النار.

حكم من أنكر شيئا من القرآن:

أجمع العلماء على بكر أبيهم على كفر من أنكر شيئا من القرآن الكريم منقولا بالتواتر، إلا ما اختلف في القراءات، إذ إنكار شيء منه كإنكاره كله، وهو من أعظم موجبات الكفر كتابا وسنة وإجماعا، وبالله التوفيق.

التعريف بالوحي

من الجيد النافع أن نعلم معنى الوحي في الوضع اللغوي والشرعي، وتوابع ذلك مما يتعلق به، لأن ذلك يساعدنا على فهم كتاب الله تعالى فهما جيدا، وبالله التوفيق.

معنى الوحي لغة: كلمة الوحي بفتح الواو فإسكان مصدر وحى بالتخفيف يوحي، وترجع دلالتها اللغوية إلى إلقاء علم على طريقة سرية إلى الغير، أو الإشارة السريعة بالكلام أو بالتعريض، أو ببعض الجوارح، ويشمل الوحي بمعناه اللغوي، الإلهام

الفطري للإنسان أو الطبيعي للحيوان، ومن الأول قوله تعالى عن أم: « وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ » القصص: (7) ومن الثاني قوله تعالى: « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ » النحل: (68)

والوساوس الشيطانية، كقوله تعالى: « وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » الأنعام: (121)

والإشارة السريعة الرمزية، كإيحاء زكريا عليه السلام في قوله تعالى: « فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا » مريم: (11) أي أشار إليهم.

وكذلك ما يلقيه الله إلى الملائكة من أمر يريد أن يفعلوه، كقوله تعالى: « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » الأنفال: (12)

وكذلك الأمر والإذن من الله تعالى لبعض الجمادات، أو أمره لبعض عباده من الناس بفعل أمر ما، ومن الأول قوله تعالى: « يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا » الزلزلة: (4 – 5) أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بكل ما جرى فيها من الأعمال. ومن الثاني قوله سبحانه: « وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ » المائدة: (111) أي أمرتهم على لسانك بأن يؤمنوا بي وبرسولي، وبالله التوفيق.

معنى الوحي شرعا:

وأما المراد بالوحي شرعا، فهو كلام الله تبارك وتعالى الذي أنزله على نبي من أنبيائه صلوات الله وسلامه عليه. أو إعلامه تعالى من اصطفاه من عباده ما أراد من هداية

بطريقة خفية سرية، فالتعريف الأول باعتبار كون اللفظ اسم المفعول، أي الموحى، والثاني باعتبار مونه مصدرا، والله تعالى أعلم.

نزول القرآن:

أنزل الله تبارك وتعالى هذا القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر الليلة المباركة تعظيما لشأنه وبيانا لمنزلة من نزل عليه عند الله تعالى خاصة وهو نبينا محمد ﷺ، والأمة التي نزل لأجلها عامة، ثم تتابع نزوله على التنجيم على خليل الله وحبيب قلوبنا المصطفى الأمين ﷺ في خلال ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، قال تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ » البقر (185).

وَقَالَ تَعَالَى: « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ » القدر: (1) ولا تعارض في ذلك، إذ أن ليلة القدر كانت إحدى ليال شهر رمضان.

وقال أيضا: « وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا » الإسراء: (106)

ومن حكمة نزول القرآن منجما تثبيت فؤاد النبي ﷺ حيث يستطيع تحمل ما يواجهه من الصعاب والشدائد الصادرة من قومه الذين جبلوا على العناد والجفوة، ومنها أيضا ترويض الناس على طاعة الله تعالى من امتثال أوامره واجتناب نواهيه حتى يسهل عليهم ذلك، إذ ليس من الممكن أن يمتثلوا جميع الأوامر التي لم يعتادوها ويجتنبوا جميع النواهي التي صارت كالسجية لهم في الوقت الواحد، بل، شيئا فشيئا حتى يسهل عليهم ذلك كله، وهذا لا يتحقق إلا بنزول القرآن على النمط المذكور، ومنها أيضا تربية الأمة على التأني والتؤدة، لأن العجلة سبيل إلى الندامة، ومنها تيسر تعلم القرآن وحفظه وفهمه، وهذا لا يتأتى إلا بإنزاله على التنجيم، ومنها مسايرة

الأحداث والوقائع والتدرج في التشريع، فإن مسايرة الإنزال الأحداث من أوضح الأدلة على صدق النبي ﷺ وصحة دعوته، والتدرج في التشريع مما يساعد على تثبيت الناس على دين الله تعالى وإبعادهم عن الملالة والسآمة من شرائع الله تعالى، وغير ذلك من الحكم.

وأول ما نزل من القرآن على الصحيح الذي قطع به المحققون خمس آيات من سورة العلق، وهي قوله تعالى: « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » العلق: (1 – 5)

ويشهد على ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: « أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.

فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ"

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ

لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ »[1] الحديث، أخرجه البخاري.

وذهب جماعة إلى أن أول ما نزل منه قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ » المدثر: (1 – 5)

وقال قوم: أول ما نزل منه أم القرآن (الفاتحة) وقال الآخرون: البسملة، أي: « بسم الله الرحمن الرحيم » والصحيح ما ذكرنا لك، والله أعلم.

وأما آخر ما نزل من القرآن فقوله تعالى: « وَاتَّقُوا يَومًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » البقرة: (181) وقيل غير ذلك، وبالله التوفيق.

ثم إن نزول القرآن ينقسم إلى ابتدائي وسببي، فالابتدائي هو ما نزل بدون سبب من الأسباب الموجبة للإنزال، وهم أكثر القرآن، وأما السببي فهو ما نزل لسبب ما، كسؤال السائل عن حكم شيء، أو غير ذلك من الأسباب، وأمثاله كثيرة في القرآن لا تحتاج إلى ذكر هنا، والله أعلم.

اللغة التي نزل بها القرآن:

من الذي تعورف عليه أن الله تعالى اختار لسان العرب وفضله على غيره من سائر الألسن حيث نزل كتابه به، وذلك لكونه أفصح الألسن وأبينها، فإن له خصائص وميزات ما ليس لغيره من جميع الألسن العالمية، فليس هناك أي لسان يقع به التحدي والإعجاز كهذا اللسان، وكذلك كان المنزل عليه نبينا محمد ﷺ عربيا وقومه الذين هم أول من يتوجه إليهم بالدعوة كانوا عربيين، فليس من الحكمة أن يخاطبوا بلساني

1- أخرجه البخاري في بدء الوحي: (3)

أجنبي غير لسانهم، فيسهل عليهم تكذيبه ﷺ ويتخذوه دليلا على إبائهم عن قبول ما جاء به من الهدى، فناسب إنزاله بهذا اللسان المقام وصادف المحل، قال تعالى: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تعقِلُونَ » يوسف: (2)

ولذلك اتفق العلماء المحققون على أنه ليس في القرآن كلام مركب على غير لغة العرب، وإن كان فيه أسماء أعلام ليست منها، كجبريل، وإسماعيل، ونوح، ونحو ذلك، وبالله التوفيق.

نزول القرآن على سبعة أحرف:

تقدم لك أن القرآن نزل باللسان العربي الفصيح، وأنه ليس فيه كلام مركب على غير أساليبهم، لكن من المعروف أن هناك اختلاف اللهجات وتباينها في كل لغة من اللغات، فكذلك كان الأمر في العرب، فإنهم مع كونهم جمعهم اسم العرب فهناك فروق متباينة بينهما في الكلام والمنطق حيث كان لكل قبيلة منهم ما انفردت به من اللحن في كثير من الكلمات عن الأخرى، ولذا أنزل الله تبارك وتعالى هذا القرآن على سبعة أحرف حيث تناول هذه اللهجات تيسيرا لحفظه وتلاوته على قبائل العرب خاصة، وعلى الشعوب الإسلامية عامة، وإكمالا لمعنى الإعجاز الذي جاء به القرآن.

وقد ثبت عن النبي ﷺ القول بنزول هذا القرآن الكريم على سبعة أحرف، وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « أَقْرَأَنِي جبرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُه وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[2]

واختلف العلماء في المراد بالأحرف السبع اختلافا كبيرا على نحو من خمسة وثلاثين قولا أكثرها متداخل، والصحيح المختار الذي قطع به كثير منهم أن المقصود

2- أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: (4705)

بالأحرف السبعة سبع لغات في المعنى الواحد من لغات العرب، كقولك: تعال، أقبل، هلم، عجل، أسرع، إلي، نحوي، فجميع هذه السبعة ألفاظ مختلفة، بيد أنتها متفقة في المعنى حيث يعبر بها عن المعنى الواحد، وهو طلب الإقبال، وهذا هو المقصود بالأحرف السبع، وليس المراد أن كل معنى في القرآن عبر عنه بسبعة ألفاظ من سبع لغات، وهذا الذي ذكرته لك هو الذي يؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الأدلة، وهو قول الإمام سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، ونسبه ابن عبد البر إلى الأكثر، واختاره أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره.

ولا مانع عندي من دخول قول من قال إن المراد بالأحرف السبعة الأوجه السبعة التي يقع بها التغاير والاختلاف، كاختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، واختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، واختلاف وجوه الإعراب، والاختلاف بالنقص والزيادة، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، واختلاف اللغات، أي اللهجات، كالفتح، والإمالة، والترقيق، والتفخيم، والإظهار، والإدغام، ونحو ذلك، لأن المقصود من ذلك التيسير والتسهيل على الناس تلاوته، ومن أشهر من جنح إلى هذا المذهب أبو محمد عبد الله بن مسلم الشهير بابن قتيبة الدينوري، وأبو الفضل الرازي، وابن الجزري، وجماعة سواهم، وانتصر لهم صاحب المناهل، ومن أمثلة وجه الأول، أي اختلاف الأسماء، قوله تعالى: « فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ » الحجرات: (10) مثنى الأخ، قرئ بكسر الهمزة، وإبدال الياء بالتاء على أنه جمع أخ، هكذا: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ)

ومن أمثلة الثاني، أي اختلاف تصريف الأفعال، قوله تعالى: رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» سبأ: (19) بصيغة الطلب وقرئ هكذا: (بعد بين أسفارنا) بضم العين على صيغة فعل الماضي.

ومن الثالث، أي اختلاف وجوه الإعراب قوله تعالى: «وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ» البقرة: (282) بفتح الراء على أن (لا) ناهية فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين، وقرئ بالضم على أن (لا) نافية فالفعل مرفوع بعدها.

ومن الرابع، أي الاختلاف بالنقص والزيادة. قوله تعالى: وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى» الليل: (3) بإثبات لفظي (ما وخلق) وقرئ أيضا: (والذكر والأنثى) بنقص كلمة (ما خلق).

ومن الخامس، أي الاختلاف بالتقديم والتأخير- بقوله سبحانه: « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » ق: (19) بتقديم الحق على الموت، وفي قراءة أبي بكر الصديق، وزين العابدين: (وجاءت سكرة الحق بالموت)

ومن السادس، أي الاختلاف بالإبدال، قوله تعالى: « وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ » الواقعة: (29) بالحاء، وقرئ بالعين هكذا: (وطلع منضود) وقوله تعالى: «كالعهن المنفوش» القارعة: (5) وفي قراءة ابن مسعود وسعيد بن جبير: (كالصوف المنفوش)

ومن السابع الأخير، أي اختلاف اللهجات، قوله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» طه: (9) تقرأ بالفتح والإمالة في (أتى) و(موسى)

وأما قول من قال إن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، فهو قول ضعيف جدا، بل، لأن ذلك يستلزم أن ما خرج عن هذه القراءات مما ثبت عن غيرهم من الأئمة

ووافق خط المصحف لا يكون قرآن، كذا قال مكي بن أبي طالب القيسي صاحب الهداية.

ثم إن المرد بالإنزال على سبعة أحرف أي أنزل موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه حيث يقرأ بأي وجه أراد منها على البدل من صاحبه، كأنه قال: أزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة لتسهيل قراءته، كذا في الفتح بتصريف يسير. والأحرف السبعة المذكورة ليست كلها مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم، بل، إنما يوجد فيه بعضها لا كلها كما ذهب إليه الطبري وجماعة إلى ذلك خلافا لابن الباقلاني، وانتصر صاحب الفتح لمذهب الطبري بقوله هو المعتمد، وبالله التوفيق.

ولولا خشية الخروج عن المقصود لبسطت لك الكلام عن هذه المسألة البسط الذي يشفي علتك ويروي غلتك، والله تعالى أعلم.

جمع القرآن:

ويشمل ذلك بيان سوره، وآياته، وكلماته، وحروفه، وبيان ترتيب السور والآيات، وبيان شكله ونقطه.

من المتعارف عليه أن القرآن كان ينزل على النبي ﷺ متفرقا حسب الوقائع والأحداث، ثم يتلوه ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم، فيحفظونه في صدورهم، وهذا هو أحد معني الجمع عند العلماء، أي حفظه واستظهاره في الصدور، ومعناه الثاني كتابته كله في الصحائف حروفه وكلماته وآياته وسوره، وقد حدث ذلك ثلاث مرات، في عهد النبي ﷺ، وفي خلافة أبي بكر الصديق، وفي خلافة عثمان ذي النورين، فأما في عهده ﷺ فكان الناس يكتبون من القرآن على اللخاف، وعسب،

ورقاع، وأكتاف، بيد أنهم لم يكن يبذلون الكتابة كبير العناية، لما وهبهم الله تعالى من قوة الذكرة وسرعة الحفظ.

وأما جمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فالباعث إليه ما وقع من استشهاد كثير من أكابر القراء في وقعة اليمامة يزيد عددهم على سبعين قارئا، فخاف عمر الفارق ضياع القرآن بذهاب القراء، فأشار إلى أبي بكر رضي الله عنهما على أن يأمر بجمعه، كما روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أنه قال: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةٍ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ

أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا»[3]

وأما الجمع في خلافة عثمان فالباعث إليه ما وقع من شدة الاختلاف في قراءته، وذلك أن الله تعالى وسع على المسلمين الفتوحات الإسلامية حيث فتح كثير من البلدان، فانتشر الصحابة في الأمصار والأقطار، وأخذ كل منهم يعلم أهل بلده الذي استوطنه القرآن على الوجه الذي تلقاه من النبي ﷺ، فترتب على ذلك اختلاف الناس في القراءة تبعا لاختلاف أوجه قراءات معلميهم من الصحابة، وتولد ذلك الفتنة حتى كاد بعضهم أن يكفر بعضا، فجمع عثمان الصحابة رضوان الله عليهم من فوره، وتشاوروا فيما بينهم، فأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويجمعوا الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد، فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري، وإلى عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، وأن يُكتب ما اختلف فيه زيد مع رهط القرشيين الثلاثة بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: « أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِى أَهْلَ الشَّأْمِ فِى فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِى الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِى الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِى إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِى الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ

3 – أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن: (4986)

فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ »[4]

وأما السورة فبضم السين، وترجع دلالة اللفظ اللغوية إلى علو وارتفاع، ومن ذلك سمي حصن المدينة الذي يحيط بها للحماية من الهجمات، ويطلق اللفظ أيضا على الدرجة الرفيعة، كقول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر ملك الحيرة:

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ اللهَ أَعْـطَاكَ سُورَةً ... تَــرَى كُــلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

والمراد بها هنا: الجزء المستقل من القرآن مشتمل على بعض الآيات منه، أو مجموعة من الآيات ذات المطلع والمقطع، والجمع: سور بضم السين وفتح الواو، وعدد هذه السور مائة وأربع عشرة سورة (114) ما بين الطويلة والمتوسطة والقصيرة.

وأما الآية فالدلالتها اللغوية راجعة إلى العلامة والأمارة، ومنه قوله تعالى: « **إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ** » البقرة 248)، وتأتي بمعنى المعجزة، كقوله تعالى: « **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ** » البقرة: (211).

والمراد بها هنا: جزء من السورة له مبدأ ونهاية، وعدد هذه الآيات ستة آلاف ومائتان وست وثلاثين آية (6236) عند الكوفيين، كما رواه الكسائي عن حمزة خلافا للبصريين، فعددها عندهم ستة آلاف ومائتان وأربع آيات (6204)

---

4 – أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن: (4987)

وأما الكلمات، فجمع كلمة بفتح الكاف وكسر اللام، وهي صورة قائمة باجتماع الحروف من اثنين فأكثر، وعدد كلمات القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون (77439)

وأما الحروف، فجمع حرف بفتح الحاء وسكون الراء، وهو في الأصل الطرف، والمقصود به هنا: جزء من الكلمة لا يتضح معناه إلا مع غيره، وعدد حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا (320،015) كما حكاه ابن كثير عن مجاهد بن جبر رحمهما الله تعالى.

وأما ترتيب آيات القرآن على النمط الذي نراه اليوم في المصاحف فأمر توقفي عن رسول الله ﷺ، ولم يكن بالاجتهاد، وهذا إجماع، وأما ترتيب سوره فالذي عليه الجمهور أنه كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، وذهب جماعة إلى أنه توقفي بتعليم النبي ﷺ، كترتيب الآيات، وإليه مال أبو جعفر النحاس، وأبو بكر الأنباري، والله أعلم.

وأما شكل القرآن ونقطه، فأول من قام بذلك أبو الأسود الدؤلي حيث شكل المصحف بالنقط، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العروض فضبطه بما هو أدق من ضبط الدؤلي حيث أعجمع حروفه بالنقط والشكل كما نراه اليوم، وقيل: أول نقطه يحي بن يعمر والحسن بأمر الحجاج بن يوسف والي العراق من قبل عبد الملك بن مروان عهدئذ، وهو الذي أمر به أولا، فتجرد لذلك الحجاج، والله أعلم.

فضائل القرآن وحامله:

قد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضائل القرآن وحامله، والحض على تعلمه وتعليمه، وحفظه والعمل بمقتضاه، وبيان ما أعده الله لمن قام بذلك من الدرجات العلية، والمنازل الكريمة عنده يوم القيامة، وقد صنف العلماء التصانيف الكثيرة في هذا الباب، ولو لم يأت شيء في فضائل القرآن سوى ما أخرجه البخاري عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (5027) لكفى ذلك في بيان عظيم شأنه، ولله در الشاطبي حيث قال:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغْنى غَنَاءً وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً ... وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يجْتُلَى
يُنَاشِدُه فِي إِرْضَائِهِ لِحبِيبِهِ ... وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِى بِهِ مُتَمَسِّكاً ... مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا
هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما ... مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلاْ
فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ... أُولئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفْوَةُ المَلاَ
أُولُو الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ... حُلاَهُمُ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلاَ

والأحاديث الواردة في فضائل القرآن موجودة في مظنها، وليس لنا حاجة في ذكرها هنا لشهرتها بين الخاصة والعامة، وهناك أحاديث موضوعة وضعها بعض القصاص وغيرهم في فضائل سور القرآن، فلا التفات إلى أمثال هذه الأكاذيب، لأن فيما ثبت عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة الموثوقة غنية لطالب الحق، فتنبه، وبالله التوفيق.

بيان إعجاز القرآن:

الإعجاز مصدر أعجزه، أي صيره عاجزا غير قادر على فعل شيء أراده، والمقصود بإعجاز القرآن هنا: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به من أن يأتوا بمثله ولو آية واحدة، وإظهار صدق النبي ﷺ في دعوته النبوية من ذلك، فهو من باب إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به.

لا شك أن ما جاء به القرآن الكريم من الإعجاز أكبر الأدلة وأوضحها على صدق نبوته بكونه من عند الله تعالى، فقد تحدى به رسول الله ﷺ العرب قاطبة، فعجزوا عن معارضته مع ما وهبهم الله تعالى من الفصاحة البيانية، والبراعة البلاغية التي لا يجاريهم فيها أحد من العالمين، فقد شهد الواقع لهم بكونهم معدن الفصاحة ومنبعها، ولا يكون هذا إلا من عند الله تعالى، إذ لو كان القرآن من النبي ﷺ لا من عند الله تعالى لوجد من يأتي بمثله منهم، وقد ذهب بعض أهل الأهواء من المتكلمين إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، أي أن الله إنما صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وممن قال بذلك أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري شيخ المعتزلة المشهور بالنظام، وهذا فاسد باطل مردود، لأنه يلزم منه أن القرآن ليس كلاما معجزا، ويكفي في الدلالة على بطلان هذا القول قوله تعالى: « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً » الإسراء: (88) فبين الله تعالى عجزهم عن الإتيان بمثله مع بقاء قدرتهم، ولو كانت قدرتهم مسلوبة ليس لذكر اجتماعهم فائدة، لنزوله منزلة اجتماع الموتى، فلا يشاد بمثل هذا.

والحاصل أن القرآن معجزة خالدة باهرة لرسول ﷺ أعجز الله به جميع الخلق، إعجازا بلاغيا علميا تشريعا، ومن أراد المزيد من ذلك فليطالع الكتب التي تعتني ببيان ذلك، وإنما ذكرنا لك هذا على باب المثال والتنبيه، والله تعالى أعلم.

التفسير والمفسرون

ولكون موضوعنا الذي نحن فيه يدندن حول تفسير كتاب الله تعالى، رأينا أنه من الذي يشاد بذكره أن نتحدث حول التفسير بشكل موجز، لأن ذلك يساعد الباحثين على فهم كتاب الله تعالى فهما جيدا، وعلى الله التكلان.

معنى التفسير لغة: لفظ التفسير مصدر فسر بتشديد السين المفتوحة يفسر، وترجع دلالته الأصلية إلى الكشف والبيان والإيضاح، ومنه قوله تعالى: « وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً » الفرقان: (33) أي بيانا وتفصيلا.

معنى التفسير اصطلاحا:

وأما معنى التفسير اصطلاحا: فهو بيان معاني القرآن الكريم، واستنباط أحكامه التي تضمنها.

والفرق بين التفسير والتأويل أن التأويل يعني هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهو معناه عند المتأخرين من الفقهاء وغيرهم، ويأتي عند السلف بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه بصرف النظر من موافقته الظاهر أو مخالفته إياه، فعلى هذا يكون مرادفا للتفسير، ويأتي أيضا بمعنى نفس المراد بالكلام، وهو من الأول الذي يعني الرجوع في وضعه اللغوي، ويقال: أول الكلام إذا فسره ودبره، وبالله التوفيق.

أقسام التفسير:

قد قسم العلماء التفسير إلى ثلاثة أقسام، وفيما يليك القائمة ببيانها:

1- **التفسير بالرواية، أو التفسير بالمأثور أو بالنقل:** وهو تفسير القرآن بما جاء في القرآن والسنة، أو كلام الصحابة، أو كلام التابعين، وهو على ثلاثة أنواع، وهي:

أ- تفسير القرآن بالقرآن: وهو تفسير الآيات المجملة بالمفصلة منه، أو المتشابهة بالمحكمة، مثال ذلك قوله تعالى: « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ » الطارق: (1-2).

فسر الله الطارق بقوله: « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » وهذا هو أعلى مراتب التفسير ومقدم على غيره، لأن الله تعالى أعلم الخلق بمراده.

ب ـ تفسير القرآن بالسنة: وهو تفسير القرآن بما صدر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريرات، وهو في الدرجة الثانية، لأن النبي ﷺ أعلم الخلق بمراد الله تعالى بكلامه، ومثال ما جاء من سنته ﷺ في تفسير القرآن: تفسيره (الزيادة) المذكورة في قوله تعالى: « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » يونس: 26) بالنظر إلى وجه الله جل ثناؤه كما روي ذلك بأسانيد يقوي بعضها بعضا.

ج ـ تفسير القرآن بكلام الصحابة: وهو في الدرجة الثالثة، إذ أنهم هم تلاميذ النبي ﷺ الذين لازموه، ونهلوا من معينه الصافي، وهم أصدق الناس بعد الأنبياء وأسلمهم من الأهواء، والقرآن نزل بلغتهم في عصرهم يتلقونه من رسول الله ﷺ غضا طريا.

ويليه تفسير التابعين، وهو الذين يلون الصحابة في الأوصاف المتقدمة، وقد شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في الدرجة الثانية في الأفضلية، فهم خير الناس بعد الصحابة، وأعلمهم بكلام الله تعالى، فكان كلامهم خليقا بالتقديم على كلام من بعدهم من الناس.

2- **تفسير القرآن بالدراية:** وهو الرأي، ومعنى الرأي هنا: الاجتهاد المستند إلى ما يجب الاستناد إليه مما ينبغي للمفسر أن يكون ملما به من اللغة وقواعدها، وأن

يكون بعيدا عن الهوى والضلالة، وإلا يكون صاحبه داخلا قي قوله ﷺ: « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[5] أخرجه الترمذي.

3- التفسير الإشاري: وهو تأويل الآيات على خلاف ظاهرها لما يظهر للسالكين الذين أنار الله قلوبهم وبصائرهم من إشارات خفية، والتحقيق أن هذا ليس من أقسام التفسير كما ذكره الحافظ العسقلاني، وقد ألحقه بالتأويل، بيد أن إلحاقه بالتأويل ليس بدقيق، والأولى أن يسمى بالاستنباط بشرط كون الإشارة صحيحة حيث يمكن الجمع بينها وبين ما تقتضيه الآية، وإلا فهو ضلالة، كتفسير بعضهم قوله تعالى: « اذْهَبْ إِلى فِرْعَونَ إِنَّهُ طَغَى » النازِعَات: 17).

بأن المراد بفرعون القلب.

وقوله: « قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ » التوبة: 23). فسروا الكفار بالنفس، وهذا زيغ وإلحاد في آيات الله.

المفسرون:

لفظ المفسرين بضم الميم وفتح الفاء وتشديد السين المكسورة جمع مفسر بالضم والفتح والكسر والتشديد، وهو اسم من فسر يفسر تفسيرا، فالمفسر هو من يقوم بالتفسير، وبالله التوفيق

شروط المفسر:

هناك شروط لا بد أن تتوفر في المفسر قبل أن يتصدر للتفسير، وبيان ذلك بصورة الإجمال أن يكون ملما بجميع العلوم التي يستند إليها التفسير، من اللغة وقواعدها، وعلوم القراءات، والفقه وأصوله، وعلوم الحديث والسير والتاريخ، ومعرفة مقاصد الشريعة، وأن يكون عنده دقة الفهم التي تساعده على استنباط المسائل منه، وترجيح

[5] – أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: (2950)

معنى على آخر أو الجمع بينهما، وأن يكون صحيح الاعتقاد، متجردا عن الهوى، وأن يقدم التفسير الذي جاء من القرآن على غيره، ثم الذي جاء من السنة الصحيحة، ثم الذي جاء من الصحابة، فالتابعين، ويجب عليه أيضا أن يحسن نيته ومقصده في ذلك، ويتحلى بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب التي أدبنا بها الشارع الحكيم، وبالله التوفيق.

من أشهر المفسرين من الصحابة:

قد تضلع كثير من الصحابة من معرفة معاني القرآن تبعا لملازمتهم النبي ﷺ الذي أنزل فيه القرآن، واشتهروا بتفسيره بين الخاصة والعامة، ومنهم على سبيل المثال: الخلفاء الأربعة: أبو بكر الصديق الأكبر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي، وعمر بن الخطاب أبو حفص الفاروق القرشي العدوي، وعثمان بن عفان أبو عمرو القرشي الأموي، وعلي بن أبي طالب أبو الحسنين القرشي الهاشمي، وعبد الله بن عباس أبو العباس القرشي الهاشمي، وعبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي، وأبي بن كعب أبو المنذر النجاري الأنصاري، وعبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت أبو خارجة الخزرجي النجاري الأنصاري، رضوان الله عن الجميع.

من أشهر المفسرين من التابعين:

وكذلك اشتهر كثير من الصحابة بالتفسير، فمنهم على سبيل المثال: مجاهد بن جبر أبو الحجاج القرشي المخزومي المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وسعيد بن جبير أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس أبو عبد الله الهاشمي، وقتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري، ورفيع بن مهران أبو عالية الرياحي مولاهم البصري، وزيد بن أسلم أبو أسامة العدوي مولاهم،

مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومرة بن شراحيل أبو إسماعيل الهمداني السكسكي الكوفي مرة الطيب.

تصانيف العلماء في التفسير:

قد خلف لنا العلماء المدونات العديدة في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وغيرهما من التفاسير المعاصرة حيث يعسر إحصاؤها على وجه الدقة، وهي ما بين المطولة والمتوسطة والمختصرة كل منها يتميز بأسلوبه، وفيما يلي ذكر بعض أشهر كتب التفسير بالمأثور وبالرأي على سبيل المثال:

من أشهر كتب التفسير بالمأثور:

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

مؤلفه: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الطبرى الإمام المجتهد، المولود سنة (224) هـ، المتوفى سنة (310) للهجرة.

ويعتبر هذا التفسير من أهم التفاسير وأشهرها، والمرجع الأول من مراجع التفسير النقلي والنظر العقلي، حيث يكثر المصنف الاستنباط، وتوجيه الأقوال، والترجيح، والحاصل أن هذا التفسير هو أفضل ما دون في هذا الباب، ومن ثم كان مؤلفه خليقا بأن يسمى إمام المفسرين، ويقع هذا الفسير في ثلاثين جزءا، وقد طبع في خمسة عشر مجلدا من الحجم الكبير، وبالله التوفيق.

2- الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

مؤلفه: هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى المقرئ، المفسِّر، المتوفى سنة (427) هـ، كان حافظا متقنا الواعظ الأديب رأسا في التفسير والعربية.

يعتبر هذا التفسير أيضا من أهم كتب التفسير بالمأثور، وبجانب آخر كان المصنف يطنب تارة في الكلام عن المسائل النحوية والفقهية، ولا يتحرى الصحة في الرواية،

بل، يكثر من الاستدلال بالأحاديث الموضوعة المكذوبة سيما في فضائل القرآن وسوره، وكذلك يكثر من إيراد الإسرائيليات ويتوسع في ذلك، ولذا سماه بعض العلماء بحاطب الليل، والحاصل أن تفسير الثعلبي هذا في الغث والسمين ينبغي لكل من يطالعه أن يتحرى عند الأخذ عنه، وهذا لا يقدح في شيء من ديانة المؤلف، بل، هو تقي متين الديانة، ويقع هذا التفسير في عشرة أجزاء، وبالله التوفيق.

3- بحر العلوم.

مؤلفه: هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى الفقيه الحنفي، الشهير بإمام الهدى، المتوفى سنة (375) هـ.

وهذا التفسير مختصر في ثلاث أجزاء من الحجم الكبير، وهو جيد جامع بين النقل والعقل، ينقل مؤلفه تارة القصص الإسرائيلية، ولا يعتني بتوجيه الأقوال، فضلا عن ترجيح بعضها على بعض إلا نادرا، وبالله التوفيق.

4- معالم التنزيل.

مؤلفه: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشهير بالفراء، من فقهاء الشافعية، المحدِّث البارع، اللغوي، محي السنة وركن الدين، المتوفى سنة (510) هـ.

وهذا التفسير مختصر من (الكشف والبيان) تفسير الثعلبي، إلا أن البغوي أنقى تفسيره من الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة كما قال تقي الدين ابن تيمية في المقدمة، ويقع تفسير البغوي في ثمانية أجزاء.

5- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

مؤلفه: هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى المغربي الغرناطي، المولود سنة (481) هـ، المتوفى سنة (546) هـ.

ويعتبر هذا التفسير أيضا من أحسن التفاسير بالمأثور التي ضربت أطناب شهرته على مناكب الجوزاء، وصار من أكبر شاهد على تبحر مؤلفه في التفسير، والعربية، والفقه، والقراءات، وصار من بعده عيالا عليه في التفسير، ويقع في عشرة مجلدات.

6- الجامع لأحكام القرآن.

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المتوفى سنة (671) هـ، من فقهاء المالكية.

وهذا التفسير جيد مفيد جامع بين الجانب النقلي والعقلي، يتحرى مصنفه من الروايات الباطلة والآراء المبتدعة، ويعتني بالجانب الفقهي حيث يكثر من استنباط المسائل الفقهية وذخر المذاهب العلماء ثم التوجيه والترجيح بدون أي تعصب مذهبي مع انتسابه إلى المالكية، وكذلك لا يأل جهده في الكلام حول المسائل اللغوية والنحوية، والقراءات، ويستفيد غالبا من تفسير الطبري، وابن عطية، والبغوي، وغيرهم، والحاصل كان هذا التفسير من كتب التفاسير التي توجه عنايتها إلى استنباط المسائل الفقهية والتوسع في بيانها، ويقع على عشرة مجلدات.

7- تفسير القرآن العظيم.

مؤلفه: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير من ضوء بن كثير بن زرع البصرى ثم الدمشقى، الحافظ الكبير المؤرخ البارع من فقهاء الشافعية، المولود سنة (700) هـ، المتوفى سنة (774) هـ.

وهو تفسير متوسط بين الإيجاز والتطويل، يتحرى مؤلفه عن الروايات الباطلة والآراء الضالة، يكثر سياقة الرواية عن أكابر مفسر السلف، بالأسانيد التي يتغلب عليه الصحة والحسن، ويوضح ما يحتاج إلى إيضاحه من الآيات بعبارة سهلة موجزة، وكان ينقل عن الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وغيرهم ممن تقدمه، وهو من أشهر كتب

التفسير بالمأثور بين الخاصة والعامة في هذا العصر، وأكثرها رواجا، وذلك لتحري مؤلفه الصحة في النقل، وتجنبه الآراء المبتدعة والقصص الباطلة التي تقدح في شيء من شعائر الله تعالى، وعلاوة على ذلك جودة أسلوبه وسهولة عبارته، وبعده عن الاختصار المخل بالمعاني، والإطناب الممل الذي يخرج به الكتاب عن موضوعه، وطبع في أربعة مجلدات ضخام، وبالله التوفيق.

8- الدر المنثور في التفسير المأثور.

مؤلفه: هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطى الشافعى، الحافظ المحدث البارع، طويل الباع في العلوم النقلية والعقلية، صاحب المؤلفات المفيدة، المولود سنة (849) هـ، المتوفى سنة (911) هـ.

اقتصر السيوطي في هذا التفسير على مجرد سرد الروايات عن مفسر السلف بدون أي تعقيب عليها، ولا تعديل ولا تجريح، ولا تضعيف ولا تصحيح مع جلالة قدره وسعة علمه ونبوغه في الحديث وعلله، وكذلك لم يتعرض لاستنباط شيء من الآيات، ولا لذكر الإعراب، والمسائل النحوية، والنكات البلاغية، وغير ذلك مما قام به غيره من المفسرين، وقد نقل ما جمع فيه من الروايات من الكتب الستة، وتفسير الطبري المتقدم، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي، ومسند عبد بن حميد، وغير هذه الكتب، والحاصل أن تفسير السيوطي هذا هو التفسير الذي اقتصر على مجرد التفسير بالمأثور من بين المتقدمة بدون خلط مع عدم تحري مصنفه الصحة في النقل، وبالله التوفيق.

من أشهر كتب التفسير بالرأي:

1- مفاتيح الغيب.

مؤلفه: هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي، التميمى، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقَّب بفخر الدين، ابن الخطيب الشافعى، المولود سنة

(544) هـ، المتوفى سنة (606) هـ. وكان رأسا في الكلام واللغة، جمع كثيرا من المعارف النقلية والعقلية ونبغ فيها.

يعتبر هذا التفسير من أهم كتب التفسير بالرأي ومن أشهرها، ويمتاز بالأبحاث الفياضة الواسعة في جميع مجالات العلوم الدينية، والمسائل الرياضية والفلسفية، وغيرها من العلوم الجديدة الحادثة، على ما كانت عليه في عصره، ويطنب في ذلك الإطناب الذي يخرج به الكتاب عن موضوعه الرئيسي، أي كتاب التفسير، ولذا وصفه ابن خلكان بأن فيه كل غيرب وغريبة، وكان يصوغ أدلته فى مباحث الإلهيات على نمط استدلالاته العقلية على الرغم من كونه يجنح إلى ما جنح إليه أهل السنة، وكان يرد على أهل الأهواء من المعتزلة وغيرهم على هذا الأسلوب المذكور، ويورد الشبهة القوية في ذلك ويقصر في حلها، ولذا قال عنه بعض المغاربة: "يُورد الشُبَه نقدا ويحلها نسيئة"

وأيضا كان يورد شبهة أهل الأهواء على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السُّنَّة على غاية من الوهاء، كذا كان قاله سراج الدين السرمياحي المغربي، وحكاه الحافظ في اللسان عن شرف الدين النصيبي، والحاصل أن هذا التفسير فيه مآخذ كثيرة فقد بها أهميته كتفسير كتاب الله، وهو أشبه بموسوعة علمية في علم الكلام والكون والطبيعة، ويقع على ثماني مجلدات ضخمة، وقد دلت الأخبار على أن الرازي قد وافته المنية قبل إتمامه إياه، والذي أتمه هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم نجم الدين القمول على ما قاله ابن حجر في الدرر الكامنة، والله أعلم.

2- البحر المحيط.

مؤلفه: هو أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحيَّاني، المعروف بأبي حيَّان، المولود سنة (654) هـ، المتوفى سنة (745) هـ.

يعتبر هذا التفسير من أهم كتب التفسير بالرأي، ويهتم مصنفه بذكر المسائل النحوية، ووجوه الإعراب، مع الإطناب في ذلك ما جعل الكتاب أشبه بكتب النحو، غير أن ذلك لم يحمل المصنف على الإغفال عن الكلام حول بقية المسائل التي يحتاج إلى بيانها، كالكلام عن المسائل الغوية، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، واستنباط المسائل والأحكام الفقهية وغيرها، وينقل من تفسير الكشاف للزمخشري، والمحرر لابن عطية، والحاصل أنه كتاب نافع مفيد، ويقع في ثماني مجلدات ضخام، وبالله التوفيق.

3- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

مؤلفه: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النابغ العبقري الفريد في النحو واللغة والأدب والتفسير، وشيخ المعتزلة، المولود سنة (467) هـ، المتوفى سنة (538) هـ.

يعتبر هذا التفسير من أهم تفاسير اللغة التي كشفت عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما لمصنفه من الإحاطة الواسعة بعلوم البلاغة والبيان والأدب والنحو والتصريف، فهو من أهم المراجع اللغوية التي يعول عليها على الرغم من اعتزال مؤلفه وإدخاله آراءه الاعتزالات الفاسدة لكن بشكل لا يتفطن منه إلا النقاد من أهل العلم، وطبع في أربعة أجزاء، وبالله التوفيق.

4 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

مؤلفه: هو ناصر الدين عبد الله ابن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير البيضاوي الشافعي، قاضي القضاة المتوفى سنة (691) هـ.

وهو تفسير متوسط في خمسة أجزاء، اختصره البيضاوي من الكشاف للزمخشري، بيد أنه صانه من آرائه الاعتزالات، وهو تفسير على مقتضى قواعد اللغة العربية.

وهذا، وكل ما لم تجده في هذه المقدمة مما يتعلق بالقرآن ستجده في موضعه المناسب به في ثنايا هذا التفسير إن شاء الله تعالى، وما تقدم في هذه المقدمة إنما أوردناه من باب المثال والتنبيه لا على سبيل الاستقصاء، ولذا تجدنا نقتصر في البيان ونغفل التطويل، لأن التطويل في الكلام إنما يكون في محله المناسب به لا في موضع التنبيه والتذكير، والله تعالى أعلم.

المؤلف أبو زكريا الرغاسي

الاستعاذة والبسملة

فأما الاستعاذة فمصدر استعاذ يستعيذ بمعنى طلب العوذ بفتح العين فإسكان، وهو الالتجاء إلى الشيء والاعتصام به، فالاستعاذة مشتقة من العوذ، يقال عاذ به يعوذ عوذا بالفتح وعياذا بالكسر ومعاذا على زنة فعال بالفتح، وتعوذ الرجل أي قال: "أعوذ بالله" أي ألتجيء وأستجير بالله تعالى، والتعويذ، والعوذة، والمعاذة بمعنى.

ولما كان الشيطان عدو بني آدم اللدود، وخصمه الشديد حيث يحاول كل المحالة على إغوائه ويبذل قصارى جهده في إبعاده عن كل خير وفاء لعهده وإبراء لقسمه، أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستعاذة بالله منه عند قراءة القرآن دفعا لوسوسته التي يحرم بها القارئ لذة تلاوة كتاب الله تعالى، والطمأنينة الحاصلة من ذلك، فقال: « فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ » النحل: (98)

أي إذا أردت أن تقرأ القرآن، فعبر بالماضي عن المستقبل، كقوله تعالى: « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » النحل: (1) أي يأتي أمر الله.

وقوله ﷺ: « مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوْتِرْ » [6] متفق عليه. أي من أراد أن يتوضأ فليستنثر، ومن أراد أن يستجمر فليوتر.

وقول الشاعر:

وإني لآتيكم لذكرى الذي مضى   من الود واستئناف ما كان في غد

أي ما يكون في غد، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن والسنة وأقوال العرب، ويكون ذلك غالبا لتأكيد وقوع الفعل بأنه واقع لا محالة سيما في القرآن، وبالله التوفيق.

1- أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الاستنثار في الوضوء: (161) ومسلم في كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنشاق: (22) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، كما قال تعالى: « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » القمر: (1) أي انشق القمر واقتربت الساعة، ومن المعلوم أن كل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت.

وقد أخذ جماعة من القراء وغيرهم بظاهر سياق الآية حيث رجحوا القول بأن محل التعوذ بعد القراءة، وإلى ذلك ذهب حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة الكوفي الزيات مولى عكرمة بن ربعي التيمي، وإبراهيم بن يزيد النخعي، وداود بن علي الأصبهاني الظاهري، وأبو حاتم السجستاني، وهو مروي عن محمد بن سيرين، ورجح مالك رحمه الله تعالى القول في المجموعة بأن محلها بعد الفاتحة، واستغربه القاضي أبو بكر ابن العربي بقوله: وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر.

قلت: والصحيح المشهور ما ذهب إليه جماهير العلماء من القول بأن محل التعوذ إنما يكون قبل التلاوة، إذ من فائدة التعوذ دفع وسواس الشيطان فيها، وهذا هو المحفوظ عن النبي ﷺ في تلاوته وصلاته، ونظير ذلك قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » المائدة: (6) أي إذا أردتم الصلاة بدخول وقتها، والله أعلم.

ثم إن التعوذ ليس من القرآن، ولا آية منه إجماعا، ولفظه الذي عليه جماهير العلماء، (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وهو لفظ كتاب الله تعالى، وموافق لما روى أحمد في المسند من طريق شريك بن عبد الله النخعي عن يعلي بن عطاء العامري الليثي عن رجل عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: « كان نبي الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاث مرات، ثم قال: لا إله إلا الله، ثلاث مرات، وسبحان الله وبحمده، ثلاث

مرات، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه »[7] أخرجه أحمد، وهو ضعيف الإسناد لإبهام الراوي عن أبي أمامة.

وفي رواية حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عنده: « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، وشركه » ورواية (شركه) شاذة، والمحفوظة هي السابقة رواية شريك.

وأخرج أبو داود نحوه من طريق شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة المرادي الكوفي عن عاصم بن عمير العَنزي عن نافع جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم بن عدي النوفلي رضي الله عنه « أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلاَةً، قَالَ: عَمْرٌو لاَ أَدْرِي أَي صَلاَةٍ هِيَ، فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً" ثَلاَثًا "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ" قَالَ: نَفْثُهُ: الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ: الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ: الْمُوتَةُ »[8] أخرجه أبو داود، وهو ضعيف لكون عاصم العنزي غير معروف

وروي التعوذ بألفاظ أخرى غير الذي تقدم، ومن ذلك ما أخرجه أبو داود من طريق علي بن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ" ثُمَّ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ" ثَلاَثًا، ثُمَّ يَقُولُ:

1- أخرجه برقم: (22179) وعلة إسناده ما وقع فيه من الإبهام، وإلا فجميع رجاله ثقات، وهم إسحاق بن يونس، وشريك، ويعلى بن أمية.

1- أخرجه برقم: (22179)

"اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا" ثَلَاثًا، "أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ" ثُمَّ يَقْرَأُ »[9] أخرجه أبو داود بإسناد صحيح.

ومن ذلك أيضا ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، من طريق أبي كُرَيْب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي، عن عثمان بن سعيد الزيات الأحول القرشي الكوفي، عن بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي، حدثنا أبي روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، عن الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، عن عبد الله بن عباس، قال: « أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد، استعذ. قال: "أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد ﷺ، بلسان جبريل »[10] وجميع رجال إسناده ثقات إلا بشر بن عمارة الخثعمي، فإنه مجمع على ضعفه، وذكر البخاري في "التاريخ" أنه يأتي مرة بالأحاديث المعروفة، وتارة بالمنكرة، وإنما ذكرناه هنا للتنبيه.

وروى سليمان بن سالم عن ابن القاسم أن الاستعاذة: أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، بسم الله الرحمن الرحيم.

10- أخرجه برقم: (22179)

11- أخرجه الطبري في تفسيره برقم: (137) وجميع رجال إسناده ثقات إلا بشر بن عمارة الخثعمي، فإنه مجمع على ضعفه كما تقدم، يخطئ كثيرا حيث يخرج به ذلك عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، والجالب لذلك أن لم يكن من أهل العلم بالحديث وصناعته كما قال ابن حبان في "المجروحين" ولذا جعله الدارقطني في عداد المتروكين في "الضعفاء" وأيضا قد رجح جماعة القول بثبوت الانقطاع في الإسناد جنوحا إلى أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، ورجح قوم القول بسماعه منه، والله أعلم.

وقد ورد في الاستعاذة أحاديث كثيرة، لا تخلو غالبا من مقال، وهي موجودة في كتب الأذكار، وفضائل الأعمال، وبالله التوفيق.

ثم إن الذي عليه الجمهور منهم الأئمة الثلاثة أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، أن الاستعاذة مستحبة مندوب إليها في الصلاة وغيرها، خلافا لعطاء بن أبي رباح، فإنه رجح القول بوجوبها في الصلاة وخارجها، والمشهور عند المالكية القول بالكراهة في الفريضة دون النفل، وعن ابن سيرين أنه إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب المستفاد من صيغة الأمر في قوله: (فاستعذ) قلت: والراجح ما ذهب إليه الجمهور، بيد أنه لا ينبغي للمسلم ترك الاستعاذة، لأنها تدرأ شر الشيطان، ولكون النبي ﷺ واظب عليها ولم يتركها حتى فارق الدنيا، وقد علمت أن الخير كله في اقتداء به ﷺ، وبالله التوفيق.

والسنة في الاستعاذة في التلاوة الجهر بها، وفي الصلاة الإسرار بها مطلقا، وهذا هو المحفوظ عن النبي ﷺ في تلاوته وصلاته، وكذلك خلفائه الراشدين، والله أعلم.

وأما معنى قوله: « أعوذ بالله » فلفظ (أعوذ) فعل مضارع للحال وللاستقبال، وهو مرفوع بالتجرد، والفاعل ضمير مستتر وجوبا، والتقدير: (أنا) والباء للاستعانة، أو للإلصاق، أي ألتجئ وأستجير بالله جل ثناؤه وحده دون غيره من خلقه من شر الشيطان وكيده، ومن أعظم شر الشيطان صده الناس عن الحق وإضلاله إياهم عن الطريق المستقيم الذي فيه سعادتهم الأبدية السرمدية التي لا تنقطع ولا تفنى، فهو العدو اللدود لبني الإنسان لا يزال يحاول على تحقيق أهدافه السيئة تجاههم، ولذا أمر الله تبارك وتعالى العبد المسلم باستعاذة من كيده عند تلاوته، وصلاته، وغيرهما من أموره الدنوية والأخروية، لكونه لا يقدر على دفع كيده وشره، إلا بالاستعاذة بالله

منه، وقد سبقت مباحث لفظ الاستعاذة اللغوية من حيث الاشتقاق والمعنى بما أغنى عن الإعادة هنا، وبالله التوفيق.

وقوله: « من » حرف جر مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، وإنما حرك للاتقاء الساكنين، ويفيد الابتداء للغاية الزمانية أو المكانية غالبا، والتبعيض، والتمييز، والتعليل، والبدل، والبيان، ويأتي زائدا لتوكيد العموم إذا سبق بنفي أو نهي أو شرط أو استفهام، ويأتي أيضا بمعنى "على" و"عن" و"في" و"الباء" وغير ذلك، و(من) هنا الابتدائية للغاية، والله أعلم.

وقوله: « الشيطان » بفتح الشين فإسكان على وزن فعلان، مشتق من الشطن بفتح الشين مصدر شطن يشطن الذي ترجع دلالته اللغوية إلى البعد، وشطن دار فلان عن دار فلان أي بعدت، والبئر شطون أي بعيدة القعر، ومنه قول النابغة الذبياني:

نأتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوًى شَطُونُ فبانَت، والفؤادُ بها رَهِينُ

أي البعيد، ويطلق لفظ الشطن على الحبل، وذلك لكونه بعيدا ما بين الطرفين، وقيل هو مشتق من الشيط بفتح الشين مصدر شاط يشيط الذي يدل على احتراق الشيء وذهابه، لأنه مخلوق من النار، وهذا بعيد، والأول هو الصواب، ويؤيد ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

أَيُّمَا شاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُم يُلْقَى في السِّجْنِ والأَكْبَالِ

ولو كان من شاط لقال: أيما شائط، فالذي تعورف عليه أن شاطن من شطن، وحكى سيبويه عن العرب أنهم كانوا يقولون: تشيطن فلان إذا فعل فعل الشيطان، فتبين من ذلك أنه من شطن، إذ لو كان من شاط لقولوا تشيط، وإنما سمي الشيطان بذلك لبعده عن الحق وتمرده، فمن ذلك أطلق اللفظ على كل متمرد من الجن،

والإنس، والدواب، قال تعالى: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا » الأنعام: (112)

وقال تعالى: « طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » الصافات: (65)

وسمى النبي ﷺ المار بين يدي المصلي الذي أبى إلا المرور شيطانا، كما أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ »

وسمى أيضا الكلب الأسود شيطانا كما أخرج أبو داود في السنن في الصلاة، باب ما يقطع الصلاة، من طريق سليمان بن المغيرة القيسي مولاهم البصري عن حميد بن هلال العدوي البصري عن عبد الله بن الصامت الغفاري عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: « يَقْطَعُ صَلاَةَ الرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيدُ آخِرَةِ الرَّحْلِ: الْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ الأَسْوَدُ، وَالْمَرْأَةُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الأَسْوَدِ مِنَ الأَحْمَرِ مِنَ الأَصْفَرِ مِنَ الأَبْيَضِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: "الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ" » وجميع رجال إسناده ثقات.

وحدث عبد الله بن وهب عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم مولى عمر بن الخطاب: « أن عمر بن الخطاب ركب بِرذَوْنًا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا، فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطانٍ! ما نزلت عنهُ حتى أنكرت نفسي » أخرجه الطبري من طريق يونس بن عبد الأعلى الصدفي عن ابن وهب، وجميع رجال السند ثقات مأمونون.

والحاصل أن لفظ الشيطان يطلق على كل متمرد مائل عن الحق، والجمع: شياطين على زنة مفاعيل، وبالله التوفيق.

وقوله: « الرجيم » بفتح الراء على وزن فعيل بمعنى مفعول، كلعين بمعنى ملعون، وحميد بمعنى محمود، أي مرجوم مطرود عن جميع الخيرات، وقيل هو بمعنى فاعل، أي الراجم، لكونه يرجم الناس بوساوسه وصرفه إياهم عن الحق، ويؤيد الأول قوله تعالى: « إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ » الحجر: (6 - 10)

وقوله تعالى: « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » الملك: (5)

وأصل الرجم الرمي كما استفيد ذلك من الآيات المتقدمة، ويقال: رجمته أرجمه، فهو رجيم ومرجوم، والرجم هنا اللعن، والطرد، ويطلق اللفظ أيضا على القتل، والشتم، ومنه قوله تعالى: « قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ » الشعراء: (116) أي من المقتولين بالحجارة على تفسير مقاتل والكلبي، وعن الضحاك: أي من المشتومين، والله أعلم.